

تحسين الدعم المخصص لإعادة توطين لاجئي كوسوفا في نيوزيلندا

فريق البحث المعني باللاجئين بجامعة أوكلاند للتكنولوجيا



UNHCR/LeMoyné

تعتبر نيوزيلندا من البلدان القليلة التي تقبل استقبال حصص دورية من اللاجئين الذين تختص بهم مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

وعند وصول اللاجئين إلى نيوزيلندا التحقوا ببرنامح قصير تموله الحكومة يتضمن فصولاً لتعليم اللغة الإنجليزية، والتعريف بالحياة في نيوزيلندا والرعاية الصحية والمشورة، إلى جانب منحة إعادة التوطين لشراء الأثاث والضروريات المنزلية، وقرض لتغطية أقساط إيجار المساكن. مع اعتبار اللاجئين مستحقين بصورة تلقائية للحصول على إعانات البطالة الطارئة. كما قدمت الحكومة التمويل لمساعدة المدارس المحلية على تقديم برامج تعليمية خاصة بالإنجليزية لأطفال كوسوفا وتوفير المشورة والدعم لمدرسيهم.

وعندما وصلت أول مجموعة من لاجئي كوسوفا إلى أوكلاند كان هناك اهتمام عام كبير بهم، فقد استقبل اللاجئون بتحية حارة في المطار، لا من أصدقائهم وأقاربهم من الجالية الألبانية المقيمة فحسب، بل من رئيس الوزراء وعدد من الوزراء والبرلمانيين وكبار الشخصيات المحلية وممثلي قبائل الماوري ومجموعة من الصحفيين أيضاً. كما أدت التغطية الإعلامية إلى خلق رد فعل مضياف على مستوى المجتمع المحلي،

وفي عام ١٩٩٩ طالبت المفوضية بتقديم مزيد من المساعدات للاجئين الفارين من الأزمة السياسية في البلقان، كما طلبت الجالية الألبانية المقيمة في نيوزيلندا من الحكومة مساعدتها في إجلاء ذويهم عن كوسوفا بعد أن مزقتها الحرب، فوافقت الحكومة على قبول لاجئين من كوسوفا بالإضافة إلى حصتها السنوية المعتادة. ومنح اللاجئون الذين لهم أقارب في نيوزيلندا الإقامة الدائمة فيها في إطار برنامج خاص للطوارئ. وكان على الجالية الألبانية المقيمة في نيوزيلندا أن تتعهد بكفالة اللاجئين الجدد وتوفير أماكن الإقامة لهم وتقديم الدعم لهم في مرحلة الانتقال والاستقرار في المجتمع الجديد. وإلى جانب توفير فرصة الإقامة الدائمة أتاحت نيوزيلندا لهؤلاء اللاجئين الخيار لمساعدتهم في العودة إلى الوطن بتحملها تكلفة السفر جواً. (وجدير بالذكر أن معظم الدول الأخرى التي قدمت المساعدات في هذا الصدد اقتصرت على توفير الحماية المؤقتة فقط، على أن يعاد اللاجئون إلى كوسوفا بعد الحرب، وهو ما كان يتم بالقوة أحياناً.)

لاجئون كوسوفيون،
١٩٩٩.

فتدفقت التبرعات في صورة الأدوات الكهربائية ودمى الأطفال والمفروشات والملبوسات على أوائل الوافدين. لكن درجة التعاطف العام مع لاجئي كوسوفا والاهتمام بهم تراجعت مع استمرار وصول مزيد من القادمين، الأمر الذي يعكس تضاملاً الاهتمام الإعلامي بهذا الموضوع.

وقد قام عدد من الباحثين الذي يدرسون فعالية برنامج استقبال اللاجئين بإجراءات مقابلات شخصية مع مجموعة من اللاجئين بعد فترة تتراوح بين ستة أشهر واثني عشر شهراً من وصولهم. ولوحظ أن الروايات التي حكاها هؤلاء اللاجئين تلقي الضوء على الصعوبات التي تكتنف عملية التكيف الثقافي، وعلى العوامل التي تساعد على تخطي الصعاب في سياق عملية استيعاب الثقافة الجديدة.

مشاكل التكيف الثقافي

تبين مشاكل التكيف الثقافي ارتفاع مستويات التوتر والانفعال المقترنة بالحياة في ظل الحرب والقدوم إلى بلد جديد والتنامي شمل الأسر. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تغيير وضع المرء من مواطن مستقل له مهنة يمارسها وبيت يملكه إلى لاجئ مستأجر لا عمل له ولا يعرف لغة المجتمع الجديد يزيد من صعوبة التكيف مع الحياة في نيوزيلندا.

كوخاً صغيراً لا أكثر، فالألباني يشعر بأن له كل الحق في امتلاكه ملكية خاصة». كما أن لديهم إحساساً بالفخر يرتبط بمهاراتهم المهنية:

«إننا شعب إذا اكتسب مهارة في مهنة ما فإنه يفخر بها... لذلك يشق علينا أن نتقل بكل هذه الخبرة لمكان نحتاج فيه إلى البدء من جديد لتثبت لأهله من نكون».

ومن المهم للاجئين أيضاً أن يشعروا بأنهم يقدمون إسهاماً إلى المجتمع:

«إن شعب كوسوفا يتميز بالحيوية والكد في العمل، لذلك فإن الإحساس بالترقب والانتظار وبأن المرء يستهلك السلع التي ينتجها غيره في منظومة الدخل القومي يختلف عن الإحساس بأن المرء يسهم في تكوين الدخل القومي».

كما يعتقدون أن العمل مهم للسلامة الشخصية:

«شعاري هو أن العمر مهما تقدم، فيجب على المرء أن يستمر في العمل... فإذا جلس المرء في البيت طول الوقت دون أن يفعل شيئاً...

يشاركون في تراثهم الأوروبي مع معظم سكان هذا البلد المضيف، ويأتون من بلد متقدم تشيع فيه ملكية البيوت. ويلاحظ أن بين اللاجئين نسبة كبيرة من المتعلمين تعليماً عالياً والذين كانوا يعملون في وظائف مهنية مختلفة، لكن معظمهم كانوا لا يزالون بلا عمل في وقت إجراء المقابلات الشخصية، وكانوا لا يزالون يعيشون في مساكن مستأجرة ويعتمدون على الحكومة للحصول على الدعم المالي. وعلى الرغم من أن أطفالهم استقروا بسهولة نسبية في المدارس، فقد لقي الكبار صعوبة شديدة في التكيف مع الحياة في نيوزيلندا:

«إن الحياة تمضي من حولك دون أن تكثرث بك، فأنت موجود وغير موجود في نيوزيلندا؛ لذلك يجب أن تكون أكثر ارتباطاً بالناس وبالمجتمع...»

ويلاحظ أن الإحساس بتقدير الذات وبالهوية عند اللاجئين كان يرتبط بامتلاكهم البيت الذي يعيشون فيه:

«من عادة الألبانيين أن يرتاحوا إلى العيش في بيوتهم، أي في بيوت يملكونها. ولو كان البيت من طابق واحد أو اثنين أو ثلاثة، ولو كان

وكانت لحظة الوصول إلى نيوزيلندا بالنسبة للاجئين مشحونة بالانفعالات، فقد أخذتهم النشوة لاجتماع شملهم بأصدقائهم وأسرتهم مرة ثانية، وسرى بينهم إحساس طاع بالارتياح لابتعادهم عن أهوال الحرب:

«جئت إلى مكان جديد لا أرى فيه أسلحة ولا جيشاً... فشعرت أنني أستطيع التنفس... شعرت براحة نفسية، وتحقق حلمي في أن أرى النور والجمال حولي في كل مكان».

ولكن الترحيب ذاته كان أليماً للبعض، إذ إن غربة المكان جعلتهم يشعرون بالتوتر وبأنهم يثيرون فضول الأهلالي «كالحيوانات النادرة المحبوسة في الأقفاص»:

«أول ما ألمني هو وجود كاميرات التلفزيون والصحفيين الذين التقطوا صوراً لنا... كان حرياً بهم أن يمهلونا بعض الوقت لتستعد نفسياً... لأننا في تلك اللحظة... لم نكن في حالتنا الطبيعية، بل لاجئين لا أكثر».

وعلى الرغم من القلق والانفعال المرتبط بالانتقال إلى بلد جديد فقد كانت التوقعات تشير إلى أن لاجئي كوسوفا سوف ينسجمون بسهولة مع المجتمع النيوزيلندي، إذ إنهم

اطفال كوسوفيون لاجئون، نيوزيلندا



فسوف يدهمه المرض والشيخوخة والموت قبل الأوان».

وكان اللاجئون معادين على الاستقلال والقوة، لكن وضعهم الجديد كمتلقين للمعونات يعني أنهم غير قادرين على القيام بالأدوار التي ينبغي لهم القيام بها ليكونوا قدوة لأبنائهم:

«الأطفال على شاكلة آبائهم، لكي يكونوا أقوياء يجب أن تكون قدوة لهم... فإذا كانت الأم لا تجد عملاً وتعيش كمتلقية للإعانات، فهذا أمر فظيع».

ويدرك اللاجئون أهمية اكتساب اللغة - إذا كنت لا تتحدث اللغة، فكأنك أصم... - ويشعرون بالامتنان للخطوات التي اتخذتها المدارس لمساعدة أطفالهم على الاستقرار. لكنهم ظلوا يقارنون بين تقدم أطفالهم في تعلم الإنجليزية وبين المشاكل اللغوية التي يلاقونها هم أنفسهم:

«لقد ساعدوا أطفالنا كثيراً... فلم يكن الأطفال يعرفون كلمة واحدة بالإنجليزية... وكان المدرسون رفقاء بهم. والآن أصبح أطفالنا يجيدون التحدث بالإنجليزية، ودائماً ما يقولون لي: نرجوك ألا تتحدث بالإنجليزية لأنك لا تعرف كيف تتحدث بها».

كما يربط اللاجئون دائماً بين وضعهم المالي والصعوبات التي يلاقونها في تعلم الإنجليزية وعدم وجود وظائف لهم:

«لا مال لدينا لأننا لا نعمل. ولا عمل لدينا لأننا لا نتكلم اللغة. ولا نتكلم اللغة لأن الفصول تأخرت ولأن استيعابنا بطيء جداً».

وقد منعهم الإحساس بعدم الاستقرار المالي من معايشة جوانب الثقافة النيوزيلندية، ومن استكشاف هذا البلد الجديد:

«لا نستطيع الذهاب إلى السينما مطلقاً، ناهيك عن المسرح. ومن المستحيل أن أشتري كتاباً أو مجلة مهنية متخصصة. ولا أستطيع حتى التذكير في الذهاب إلى متحف أو معرض من معارض الفنون. كما أننا لا نستطيع حضور الاحتفالات الثقافية في أوكلاند. وكل ما في وسعنا هو أن نحلم بالذهاب إلى ولينغتن».

وبصفة عامة، يتملكهم إحساس قوي بافتقاد وضع المواطن ويعدم الانتماء:

«صحيح أننا نأمن على حياتنا هنا، ولكننا نعاني في قرارة أنفسنا؛ فمعظمنا كان يتمتع بسمعة طيبة عندما كنا في كوسوفا، وهذه مسألة كرامة، أما هنا فلا أحد يعرفنا».

المساعدة على التكيف الثقافي

خاتمة

حدد اللاجئون عدداً من الجوانب التي تؤثر تأثيراً إيجابياً على استقرارهم في المجتمع الجديد، مثل المساعدات التي تقدمها المدارس، والدعم الذي يتلقونه من أقاربهم وممن يكفلونهم، وكفاءة العاملين بمركز الاستقبال وروح المودة التي يتسمون بها:

«لم أكن أتصور أن يتم الأمر بهذه السرعة... كل المستندات تم استيفائها في أسبوع - البطاقة الاجتماعية والبطاقة المصرفية وكل هذه الأشياء. في أسبوع واحد كنا مستعدين للذهاب إلى بيوتنا ومواصلة حياتنا. لقد أتينا ونحن نشعر جميعاً بالإعياء بسبب ما عانيناه من الحرب وعدم الانتظام في تناول الطعام والعيش على العبوات الغذائية التي يوزعها حلف شمال الأطلسي (الناتو)، ولكن في غضون أسبوع واحد أصبحنا قادرين على أن نطهو طعامنا بأنفسنا».

كما كان برنامج التوجيه بنيوزيلندا مفيداً جداً للاجئين:

«برنامج التوجيه... كان بمثابة عون مذهل لنا لأنه عرفنا على الحياة في نيوزيلندا، وعلى الحقوق والواجبات تجاه الدولة... وساعدنا على ألا نقع في الأخطاء التي يقع فيها المبتدئون».

مقترحات لتحسين الأوضاع

لا بد من الاستماع إلى المقترحات التي طرحها اللاجئون بشأن تحسين أوضاع إعادة التوطين، وهي ما يلي:

- زيادة الاهتمام بالدعم المقدم للأطفال والشباب.
- توفير القروض لشراء المساكن.
- توفير المنح للحرثيين لشراء الأدوات اللازمة.
- إنشاء نظام مركزي لتداول السلع المستعملة.
- الاعتراف بالحق في العمل كحق أساسي من حقوق الإنسان.
- وضع مخططات تنطوي على حوافز مالية لتمكين اللاجئين المؤهلين من العمل بصفة تطوعية لاكتساب خبرات عملية وتحسين مهاراتهم اللغوية.
- رفع مستوى المواءمة بين مهارات العمل التي يتمتع بها اللاجئون وبين فرص التدريب المتاحة لهم.
- إتاحة التدريب على مهارات اللغة الإنجليزية المتعلقة بالوظيفة.
- إنشاء مكتب لبحوث اللاجئين لضمان تحديد التحسينات المطلوب إدخالها على عملية إعادة التوطين واتخاذ ما يلزم لتنفيذها.

كانت تحديات الاستقرار في نيوزيلندا أكبر من طاقة بعض اللاجئين الذين لم يستطيعوا مقاومة رغبتهم في العودة إلى موطنهم. ففي أغسطس/آب ٢٠٠٠، عاد ١٠٠ منهم إلى كوسوفا مستفيدين من قيام الحكومة النيوزيلندية بدفع تكلفة السفر لهم. وتعتبر بعض الصور التي استخدمها اللاجئون لوصف صعوبة التكيف الثقافي تعبيراً صادقاً عما كانوا يشعرون به:

«عندما أخرج من وطني أشعر أنني كالطير في مكان غريب».

«إذا أبعدت قنفذاً عن الشجيرات ووضعته على الطريق المرصوف، فلن يلبث أن يعود إلى الشجيرات بعد ثوان».

أما من بقوا في نيوزيلندا فلا تزال البطالة أمامهم قضية رئيسية، ولذلك ينبغي الاستماع إلى مقترحاتهم بخصوص حل بعض المشاكل على المستوى المناسب، إذ يمكن أن تؤثر هذه المقترحات على القواعد والسياسات السارية بخصوص التوطين في نيوزيلندا.

إعداد فريق من الباحثين بكلية التربية والعلوم الاجتماعية بجامعة أوكلاند للتكنولوجيا في أوكلاند بنيوزيلندا. أعضاء الفريق: هيذر ديفيز، تيوتا كاجتازي، مان هاو ليف، لومي مازلوم، كيرين ماكديرموت، كيماجل موراتي، جين فيريبتسكي.

عنوان البريد الإلكتروني:

heather.devere@aut.ac.nz

١ عرضت نيوزيلندا استقبال ٢٠٠ أسرة، أو ما يصل إلى ٦٠٠ لاجئ. وبلغ إجمالي عدد من اختاروا المجيء إلى نيوزيلندا ٤٠١ لاجئاً.

٢ باستثناء كندا والولايات المتحدة وأيرلندا.

٣ إلى جانب التبرعات في صورة السلع العينية، قامت مجتمعات محلية عديدة في نيوزيلندا بتنظيم حملات لجمع التبرعات للاجئين كوسوفا في نيوزيلندا وفي منطقة الأزمة نفسها.

٤ للرجوع إلى تفاصيل منهج البحث المستخدم، انظر بحث كيرين ماكديرموت المعنون «تطور نموذج البحث العابر للثقافات الملائم لاستكشاف إعادة توطين اللاجئين»، والمقدم إلى مؤتمر شبكة البحوث الاستكشافية بنيوزيلندا في ١٨ سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠.

٥ على سبيل المثال كان هناك خمسة أطباء أسنان وسبعة أطباء وخمس ممرضات و١٧ من معلمي المدارس وأربعة أساتذة جامعة و١٢ مهندساً وأربعة محامين وثلاثة محاسبين ومخرجان سينمائيين.